

تقريب

للاستاذ أنور المعداوى

كتاب عن مصر لجان كوكتو

في الشتاء الماضي حل الكاتب الفرنسى جان كوكتو ضيفاً على مصر ، وفى ذلك الحين كتبنا عنه كلمتين فى « التوقييات » وردت فى إحداها هذه الفقرات : « لقد تهيا لنا أن نطلع على أربع رسائل تلقاها من باريس أخذ أسدقائنا من بعض زملاء دراسته فى السوربون وهى تدور كلها حول كوكتو وفنه ورحلته إلى مصر : رسالتان تحلمان من قدره وتحملان على خلقه ، ورسالتان ترفعان من فنه وتشيدان بمواهبه ، ونحن بين الرسائل الأربع يأخذنا المصعب من رجل لا يلقى رأياً وسطاً بين المجبين به والمتحاملين عليه »

وهذه فقرات أخرى مما قلناه عنه فى الكلمة الثانية : « أما مصر فقد قال عنها كوكتو إنها أوحى إليه الكثير ؛ لقد انفراد بأبى الهول ساعات فى الليل والنهار ، وضادف من قلبه منزلة حسنة فباح له بسرّه ، أما هذا السر فسيجعله إلى المصريين كتاب يود كوكتو أن يفرغ منه فى الشهور المقبلة ، كتاب يقبس أسلوبه البحر من وحى التخيل الياسق على ضفاف النيل... وكل ما نطلبه إلى الكاتب الفرنسى هو أن يكون صادقاً فى إسمائه لكلمات أبى الهول ، أميناً فى نقل حديثه ونجمه . إن أبى الهول لا يمكن أن يتجنى على وطنه ، لأنه عاصر تاريخه ، وأشرف على حضارته وبارك منذ خمسة آلاف عام مجده الخالد... إننا فى انتظار كتاب جان كوكتو لننظر فيما إذا كان قد استمع لكلمات محدثه أم اتقاد لنزوات هواه »

قلنا هذا عن الكاتب الفرنسى منذ عام على وجه التقريب ، وبعد أيام من هذا الذى قلناه نقلت جريدة « البورص » الفرنسية كلتنا الأولى بما فيها من فقرات تشير إلى أخلاق الرجل تلك الإشارة المايه... وليس من شك فى أن الكاتب الفرنسى قد

اعتذر من لقائنا يوم أن رغبنا فى لقائه ، حين قرأ تلك الفقرات اللاذعة فى الصحيفة الفرنسية ؛ ويشهد الله أننا لم تكن متعجبين يوم أن نفتناه بسوء الخلق وانحراف الطبع ، لأننا لم نزل فيه إلا هذا القليل مما حملته إلينا رسائل مواطنيه ، بل لعلنا قد استشرنا الذوق حين أغفلنا الكثير مما جاء بتلك الرسائل ، نزولاً على حكم المجاملة نحو ضيوفنا من الأدباء... ومن هذا الكثير الذى أغفلناه قصص تصور بعض مظاهر الشذوذ الخلقى فى شخصية جان كوكتو وهى قصص لم نكده نشك فى صحتها حتى نحت إلينا مرسلوها بصورة فوتوغرافية تمثل الكاتب الفرنسى فى أحد الأوضاع الشاذة التى تأبأها رجولة الرجال ، وقد كتب تحت الصورة الحادة بكل ما يشين الخلق هذا الاعتراض : كيف تحتفى مصر برجل هذه هى كل مواهبه !!!

وطوبى هذا الذى وافقنا به الرسائل الفرنسية ، واستقبلنا جان كوكتو ، واحتفينا به ، وأقنانه المآذب والحفلات... وانتظارنا بعد هذا كله أن يقول كوكتو عن مصر كلمة تبسم بالعدل والإنصاف ، وإنها لأقل ما كان ينتظر منه رداً لكرم الضيافة واعترافاً بالجميل . ولكن الرجل أبى إلا أن يكون نسخة سادة من صورته الفوتوغرافية... وهما يخرج كتابه عن مصر ، وهما هى الحكومة المصرية تمادى الكتاب الذى لطخت صفحاته بأسخف ألوان الكذب والافتراء

ولكن ماجدوى هذه المصادرة والكتاب يقرأ فى كل مكان خارج الحدود المصرية ؛ لقد كنا نفضل ألا يصادر هذا الكتاب المهابط ليتاح للأدباء المصريين أن يقرأوه ، عسى أن يتناول أحدهم قلبه ليرد على الكاتب الذى خضع لانحراف طبعه وانقاد لنزوات هواه... نقول هذا ونحن نتطلع إلى الدكتور طه حسين ، نتطلع إليه لثلاثة أسباب : السبب الأول أن الدكتور يتمتع بمكانة ملحوظة فى الأوساط الأدبية الفرنسية ، فهو إن تناول قلبه ليرد على جان كوكتو كان لردّه أجل الوقع وأبعد الأثر . والسبب الثانى أن فى الكتاب صفحات منصفة لشخصية الدكتور وأدبه ، فهو إن تناقل عن هذا الثناء الذى أضفى عليه ، كان لردّه أبلغ الدلالة على أن سمعة الأوطان فوق سمعة الأفراد... أما السبب الثالث فلا بأس من أن أذكر الدكتور به ، حين أطوى من الزمن طاماً أردت

الشيخ (معروف) الثانية ، لا تشمر نحو الفتى الشاب (حامد) بالرضى والالتياف ، فتشير على زوجها بالتسويق والمطالبة في طلب الشاب ثم يتقدم لخطبة الفتاة الشيخ (خليفة) وهو رجل غنى في المقعد السابع من عمره . ويقوم بدور الوساطة (عمار) حيث يوفق في مسماء ويستجيب الشيخ (معروف) لطلبه ، بعد أن يكون (الدينار) قد لعب دوره بنجاح في القضية !

وترف (علوية) إلى بيت الشيخ (خليفة) على كره منها ، ويتندر الأدباء في مجالسهم وتنتشر القالة حول الشيخ (معروف) وأطامعه ... ويضطر الشيخ (خليفة) في الفصل الخامس والأخير إلى تسريح (علوية) بعد أن واجهته بالشتائم وامتنعت عن معاشرته ، وعاودها السقم والمرض ، فأشفق ورثى لحالها . ويقع الخبر من الشيخ (معروف) موقفاً ألبماً فيعود على نفسه باللوم ، ولكن الشيخ (خليفة) يقترح عليه لكل الأمر أن يجمع بين (علوية) وابن عمها (حامد) . ويقف (حامد) موقفاً نبيلاً عند ما يقبل التضحية ، إبقاء على حياة الفتاة المظلومة ، وصوناً لكرامتها ، وإكراماً لخاطر عمه المنكود !

هذه صورة تقريبية لفصول القصة ، وحيث تنتهي تبدأ قضية النزاع والاختلاف ، فيرى البعض أن تتلاحق فصول القصة كآساة حتى الشوط الأخير . بينما يرى البعض الآخر ومنهم المؤلف أن أن الله وهو أعدل المادلين لن يجعل مثل هذه (الآساة) صورة ما ، في عالم تجري حوادثه على قوانين طبيعية حادة ... هذه هي نقطة الخلاف عرضناها عليكم بكل أمانة ، راجين أن ترشدونا برأيكم على صفحات « الرسالة » الغراء :

« المسكلا - حضرموت »

أحمد هوصه باوزير

سكرتير الفرقة الأدبية للعلمين

نود أن نقول للأديب الحضرمي الفاضل رداً على سؤاله ، إن هذا الجدل الذي دار بين جماعة من أصدقائه حول هذه القصة جدل غريب . ومصدر النزاع فيه أن أصحاب الرأي الأول يريدون أن يطعموا موضوع القصة بطابع المأساة ، وأن أصحاب الرأي الثاني يريدون أن يخضعوا الموضوع لعدالة الله ... وكلا الرأيين بعيد عن

معه إلى ذلك المساء الذي جئني به على ميماد ؛ لقد دار الحديث في تلك الليلة حول ما كتبت في « الرسالة » عن جان كوكتو ، ومازالت أذكر تلك الابتسامة العذبة التي ارتسمت على شفتيه ، وهو يرغب إلى في أن أكف قلبي عن الكاتب الفرنسي خضوعاً لواجب الجمالة ... وخضوعاً لهذا الواجب أيضاً كفت قلبي عن نشر تلك القصة الطارئة التي قصتها على ، حول ذلك الكتاب العابر الذي وجهه إليه كوكتو بمناسبة المحاضرة التي ألقاها عن « أوديب في الآداب المختلفة » والتي حمل فيها الدكتور بقسوة على مسرحية « الآلة الجهنمية » للكاتب الفرنسي !

من هذا كله ترى أن الأدباء المصريين قد عاملوا جان كوكتو معاملة الكرام لرجل ليس له كرامة ... وأين هذا من رجل كامل هربو عضو الأكاديمية الفرنسية ، ذلك الرجل الذي ما كاد ينفادر القاهرة إلى باريس حتى كتب في جريدة «الوند» مقالا أثنى فيه أطيب انثناء على مصر والمصريين !

القصة بين قلم الكاتب وطبيعة الحياة

نكتب إليكم هذه الرسالة للاستشارة برأيكم في مسألة جوهرية تتعلق بفن القصة العربية ، وقد كانت تلك المسألة مثار جدل عنيف صاخب هنا ، بين جماعة من الأدباء هم أعضاء غرفة المعلمين الأدبية «بالمسكلا» . وكانت أهم مأخذ النقد تتركز في النقطة التالية وهي : هل من الطبيعي أن يظل شيخ المأساة يلاحق فصول القصة حتى نهايتها ، ثم لا يكون (لعدالة السماء) دخل في ذلك ؟ وهل تكون حوادث مثل تلك المأساة طبيعية في عالم ترعا عناية الله وتكفؤ قدرته ؟ وإليكم فيما يأتي فحوى تلك القصة التي كانت وما تزال مثار جدل عنيف واختلاف كبير ، فقد يكون في سردها هنا على الإجمال ، بعض النفع :

تجري حوادث القصة في بيئة حضرمية ، ولهذه البيئة سمات خاصة هي في الواقع صورة منعكسة للحياة العقلية والأدبية في هذه البلاد . وتبتدى القصة في بيت الشيخ (معروف) حيث يجري مع ابنته (علوية) حوار عائلي ، يدخل بعده (حامد) ابن عم الفتاة ويطلب إلى عمه أن يربط بينه وبين (علوية) برابط الزوجية . ويتفق في ذلك أن تكون أم الفتاة متوفاة ، وأن تكون (صفية) زوجة

الفريق الأخير على أن تشرف عليها المذلة الإلهية ، وكأنها ليست قصة فنية وإنما هي درس في الوعظ والإرشاد !

حول رسائل الفرار أو رغبة استجابة

كان من رأينا أن نغضى في كتابة هذه الدراسة المطولة لحياة المغفور له الأستاذ على محمود طه وشعره حتى نبليغ بها أربعة وعشرين فصلا على أن تجمع آخر الأمر بين دفتي كتاب يشير إلى فضل الشاعر العظيم على الشعر العربي الحديث . ولكننا ماكدنا نعد الفصل الثالث عشر للنشر حتى نبهنا أحد القراء الطرقاء إلى حقيقة نستحق التسجيل ، وهي أن زججى بقية الفصول التي كنا نزمع نشرها على صفحات «الرسالة» حتى لا يفقد الكتاب جدته حين ندفع به إلى أيدي الناس، وحتى لا يستغنى الجمهور القارئ بأعداد الرسالة عن شراء الكتاب ... فكرة ناضجة بلارب، وبخاصة ونحن في عصر يلتبس فيه القارئ المصري شئ السبل التي تحقق له قراءة الكتب دون أن يدفع الثمن !!

وإذن فلا بأس من أن تستجيب لهذه الرغبة التي تفضل بإبدائها قارئ لا شك في أنه صديق ... ونحن إذ نعمل على تحقيقها إنما نستجيب لرغبة أخرى هي الرد على كثير من رسائل القراء التي تكثرت خلال تلك الفترة ، والتي ينتظر مراسلوها منذ شهور أن نجيب عما فيها من أسئلة تتعلق بمشكلات الأدب والفن ، وليس أماننا من مجال للإجابة عنها غير أن نمرد إلى كتابة «التعقيبات» ... وإنها لمودة محبة تلك التي تليح لنا أن نتصل بقراء الأقطار العربية من جديد ، راجين أن نكون عند حسن الظن شاكرين لهم كريم الماطفة وصادق التقدير .

ولقد كنا نود أن نمرض بالإجابة لبعض الرسائل في هذا العدد لولا ضيق النطاق ، فإلى الأعداد المقبلة حيث نقب على الأسئلة وغير الأسئلة إن شاء الله .

أنور المعداوي

جوهر الفن القصصى لأنه يمثل منطق القائلين به أكثر مما يمثل منطق الواقع الطبيعية !

جوهر الفن هو أن نستوحى الحياة وحدها عند ما نريد أن نخلق عملا من الأعمال الفنية ، والتمتع كعمل من هذه الأعمال لا بد أن تخضع لجرى الحياة في سرورها الواقعية التي لا تنكرها العين ولا يرفضها العقل ... فالحيات التي نعرف عليها عدالة الله فيها الخير وفيها الشر، وفيها الفضيلة وفيها الرذيلة ، وفيها السعادة وفيها الشقاء، وفيها ما شئت من ألوان المفارقات وضروب المتناقضات . فإذا صورنا الحياة تصويراً صادقاً فن الطبيعي أن تقبل المأساة المستمدة من واقعها كما تقبل الملهاة ، على شرط أن يكون عرضنا لهذه وتلك مسيراً لنطق الحوادث المألوفة ومطابقاً لطبيعة الأمور كما يألفها الأحياء !

خذ موضوع القصة من هذا الوجود المتحرك أمام ناظريك ، ثم اخلع عليها بعد ذلك من أبواب الفن ما يبعد عنها صفة الجود الذي لا يتفق مع الحركة ، وزرعة الخيال الذي لا يلتقي مع الواقع ، ولا مبرر بعد ذلك لأن تفرض على موضوع القصة أن يسير في هذا الطريق دون ذلك ! إن الحياة وحدها هي التي ترسم خط السير ، وتقرر غرض الاتجاه ، وتحدد طبيعة الموضوع ... أهني أننا يجب أن تقتنى أثر الحياة في كل خطوة من الخطوات وكل نقلة من النقلات ، ثم نسجل ما شاهدناه كما حدث في الواقع الشهود أو كما حدث في الواقع الذي يمكن أن يكون . فإذا كان يجري الحوادث في القصة لا يضيق بشبح المأساة فلا ضير من توجيه دفتها نحو هذا الذي نبتنيه ، فإذا ضاق بها فلا حاجة بنا إلى أن نحمل الحياة فوق ما يمكن أن تطيق !

والقصة التي يمرضها الأديب الفاضل لا يتناقى موضوعها مع رأى الفريق الأول كما أنه لا يتناقى مع رأى الفريق الأخير ، لأن البداية الفنية فيها تمهد لكلمات النهايتين المقترحتين دون أن يمس جوهر الواقعية بمجال من الأحوال ... ولكن الذي يتناقى مع جوهر الفن القصصى هو أن يصير الفريق الأول على أن تكون الخاتمة مظلمة مع أنها تحتل أن تكون مشرقة ، وأن يصير